مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض، م ٨، ص ص ٣٥٣ - ٣٦٦ (١٩٨١)

لغة الصحافة

الدكتور عادل أمين الصيرفي
الأستاذ المساعد بقسم الإعلام ـ كلية الآداب ـ جامعة الرياض ـ الرياض، المملكة العربية السعودية.

اللغة كائن حي ينمو باضطراد، وقد دلت البحوث على أن لوسائل الإعلام عامة، وللصحافة خاصة دوراً هاماً للغاية في تطور اللغة التي يكتب بها الناس ويتخاطبون. فقد أضافت الصحافة عبر ما يقرب من القرنين إلى اللغة العربية كلمات وعبارات وجملاً وتراكيب جديدة مبتكرة لم تكن اللغة الأم على علم مسبق بها، بحيث لو قدر للأقدمين مطالعة بعض صحف اليوم لما فهموا جل عباراتها وجملها وتعبيراتها إن لم يكن كلها.

وقد دخلت الكلمات والجمل والتعابير الجديدة إلى لغة الصحافة بطرق لعل أهمها الترجمة من اللغات الأجنبية وتعبيرات البرقيات التي ترد إلى الصحف طوال أربع وعشرين ساعة في اليوم، وقد وافقت مجامع اللغة العربية في العالم العربي على هذه اللغة المتجددة نظراً لاستخداماتها التي شاعت بين الناس بحيث أصبحت جزءاً من لغة حياتهم اليومية.

ولغة الصحافة هي اللغة العملية التي تمتاز بالسهولة والسلاسة في التعبير لتصل إلى كل العقول مهما اختلفت مستوياتها الثقافية والفكرية، وهي تختلف عن لغة الأدب ولغة العلم التي لا يفهمها غير المتخصصين.

لم تستطع وسائل الإعلام المسموعة والمرئية على الرغم مما لها من بريق وما نالته من تقـدم مذهل سريع أن تقضي على الصحافة التي تعد أقدم هذه الوسائل طراً .

وعلى الرغم من أن الصحافة ظلت كما هي ــ من حيث الشكل لا المضمون ــ منذ زمن طويل : صفحات من ورق مطوى مليئة بعناصر طباعية (تيبـوغرافية) Typographic مختلفة كالأخبار والتحقيقات والتعليقات والصور والرسوم والعناوين والاعلانات . . الخ ، فقد استطاعت البقاء في ميدان المنافسة بل الازدهار وسط غـابة مليئـة بـأشواك التقـدم لمنافسيها الذين استخدموا كل وسائط التقنية الحديثة في هذه الحرب غير المتكافئة .

ومع أن شكل الصحيفة لم يزد كثيراً عن مثيله في بداية عهدها ، اللهـم إلا صـورة ملونة هنا ــ في محاولة لمنافسة المجلات الأسـبوعية والتليفـزيون الملـون ــ أو ورق جيـد هناك ، أو على أقصى تقدير طباعة بالكمبيوتر أو عن طـريق القمـر الصـناعي أو أشـعة (ليزر) ، إلا أنها ظلت في نظر القراء ذلك الجسـم المطبـوع بنفس الحـروف والأشـكال المختلفة ، فما بين المتن والصورة لم يزد شكل الصحيفة كثيراً عبر قرون .

ولكن الذي تطور حقاً في الصحيفة هو المضمون ، هو محتوى الصـحيفة هـو اللغـة التي أصبحت تستخدمها ، والأسلوب الـذي اصـطنعته ليـلائم روح العصر ، والتغـطية Coverage التي تزيد وتفضل أية وسيلة إعلامية أخرى .

فما هي لغة الصحافة ؟ تلك اللغة التي استطاعت الإبقاء على هذه الـوسيلة الحيـوية التي تؤثر تأثيراً فعالا في الرأي العام وتقوده إلى الوجهة التي تريد .

أما اللغة عموماً فإن أصدق تعبير عن معناها هو ما عرفها بـه ابـن جـني حينما قـال عنها (إنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)[1] .

وهذا التعريف ينطبق على جميع اللغات دون استثناء ، وجميع ألفاظ اللغة ما هـي إلا رموز موضوعة للدلالة على المعاني والأفكار المطابقة للتصور في الذهن .

وعلى الرغم من أن الأصوات تختلفة من لغـة إلى أخـرى إلا أن المعـنى القـائم في الذهن الإنساني يظل واحداً ، فكلمة عصفور بـالعربية هـي Bird بـالإنجليزية ، و Oiseau

بالفرنسية ، و Pajaro بالأسبانية . . . إلى ما لا نهاية له من الاختلافات الصوتية لمعنى واحد عن شيء واحد له في الذهن تصور محدد .

وعلى الرغم من أن « لغة كل قوم إنما تسمى تجاربهم الاجتماعية ، فتضع للمسميات اسماً وتضع للأعمال أفعالا وتضع للعلاقات فيما بينها أدوات تربط بين الكلمات في السياق »[٢] إلا أن أية لغة على حدة لا تستطيع أن تسمى التجارب الإنسانية جميعاً لأن المسميات تختلف باختلاف البيئة « فإذا كانت بيئة ما تسمى (الجمل) فإن بيئة أخرى تسمى (اللاما) وبيئة ثالثة تسمى (الفيل) وكذلك قد تسمى بيئة من البيئات طعاماً لا يكون معروفاً للبيئة الأخرى ومثل الطعام العادة والآلة والتقليد وأنواع التجارب المختلفة »[٣] .

واستخدام اللغة يجب أن يكون في إطار محدد يعرف بالأجرومية أو قواعد النحو والصرف ويشبه (تمام حسان) علاقة اللغة بقواعدها كعلاقة رقعة الشطرنج بقطعه المرصوصة فوقه ، فقواعد الشطرنج « نظام ينتظمه جدول (إن صح هذا التعبير) قوامه المربعات ذات العلاقات فيما بينها ، فالمربعان قد يختلفان من حيث العلاقة الرأسية بأن يكون كل منهما في صف رأسي مختلف عن الآخر ، وقد يختلفان من حيث علاقة الصف الأفقي وقد يختلفان من حيث علاقة الصف المائل ، ولكن الاختلاف بين أي مربع وبين المربعات الأخرى مهم جداً في الوظائف التي تؤديها هذه المربعات أثناء اللعب . ولكن فهمنا للشطرنج لا يتم بمجرد وجود الرقعة فقط بل لا بد من القطع المختلفة الشكل أو المبنى والوظيفة أو المعنى في اللعبة .

« فقواعد لعبة الشطرنج ومربعاته كنظام اللغة صرفاً ونحواً وقطع الشطرنج المختلفة الشكل والوظيفة كالكلمات وحركات اللعب نفسها كالكلام الذي يحتاج إلى اللغة بما فيها من أنظمة وكلمات ، وكما أن اللعبة تطبيق لقواعد الشطرنج كذلك الكلام تطبيق لقواعد اللغة »[٤] .

ويتضح من هذا التشبيه أن استخدام الكلمات في اللغة يتم وفقاً لأصول محددة ومتفق عليها سلفاً ، كما يتضح منه أيضاً أن معرفة الكلمات وقواعدها قد تعني الاستخدام الصحيح للغة ولكنها لا تعني المهارة في الاستخدام تماماً كما يحدث في لعبة الشطرنج ،

فإنه ليس من المحتم على من يعرف حدود رقعته ومربعاتها وعلاقاتها والاستخدام الصحيح لقطعه التي ترص فوق هذه المربعات أن يكون ماهراً بارعاً أو بطلاً (أستاذاً) في لعبة الشطرنج ، وهذا هو ما يحدث تماماً في اللغة ، فكل المتعلمين يعرفون كلماتها المستخدمة ، كما يعرفون القواعد التي يستخدمون وفقاً لها هذه الكلمات ، ورغم ذلك هناك الأديب البارع والكاتب الألمعي والشاعر المبرز وهم جميعاً قلة قليلة من العارفين بأصول اللغة وقواعدها .

ويكفي أن نذكر أن القرآن الكريم لم تخرج كلماته عن حروف الأبجدية والمعروفة بـ (٢٨ حرفاً) ومع ذلك تحدى الحق سبحانه الإنس والجن معاً على أن يأتوا بسورة من مثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً : ﴿ قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ﴾[٥] ، ﴿ قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ﴾[٦] ، ﴿ قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾[٧] ، وهذا هو الإعجاز حقاً .

وإذا نزلنا إلى المستوى البشري وجدنا الفارق واضحاً بين شعراء العربية المبرزين ــ مثلا ــ وبين من يقرضون ما يسمى عندهم شعراً ، أو بين أدباء من أمثال طه حسين والعقاد والرصافي والمازني وبين أولئك المدعين للأدب الذين لا يجيدون إلا النقد ، وحتى النقد له أصوله التي لا يعرفونها .

وقد كانت إجادة اللغة والمهارة في استخدام الأساليب اللفظية هي المؤهل الأول وجواز المرور إلى عالم الصحافة ، لذا فقد اعتمدت الصحافة في القرنين الماضيين على الأدباء الذين قامت الصحافة على أكتافهم سواء في الغرب أم في الشرق .

ولم تعرف الصحافة العربية صحافيين بالمعنى الحقيقي إلا منذ ما يزيد قليلاً عن نصف قرن وخاصة في مصر وبلاد الشام ، بل ظلت السيطرة معقودة للأدباء إلى جانب هذه القلة من الصحفيين حتى الخمسينات من هذا القرن ، وكانت المساجلات الأدبية والمقالات التي دبجها يراع كبار الأدباء هي المحور الأساسي للصحافة التي لم تكن تحفل بالخبر حتى ذلك الوقت احتفالا كثيراً .

وحينما بدأت الصحافة عملية التحول من صحافة رأي إلى صحافة خبر خاصة بعد وقوع أحداث جسام غطت على كل ما عداها ـ وخاصة الحرب العالمية الأولى ـ ساعد على انتشار الخبر وتغطيته تقدم وسائل المواصلات والنجاح الذي أحرزته وسائل الاتصال يوماً بعد يوم .

وإلى اختراع البرق (التلغراف) عام ١٨٣٧ م أصبح ينسب ذلك الأسلوب الذي عرف في الصحافة بعد ذلك باسم (الأسلوب التلغرافي) الذي يعتمد على الكلمات المحددة والعبارات الدقيقة والجمل القصيرة والفقرات التي لا تزيد عن عدد قليل من الجمل ، وعدم ربط الجمل ربطاً محكماً تحسباً للحذف والتعديل فضلاً عن عدم استخدام المترادفات والتشبيهات والكنايات وغيرها من أشكال الأساليب الأدبية .

وفي الجملة أصبح الأسلوب الأدبي لا يناسب الصحافة الحديثة إلا فيما يختص بزاوية أو صفحة أو ملحق أدبي ، واقتصر دوره في الصحافة ـ إلى جانب ما ذكر ـ على بعض المقالات الذاتية التي يعبر أصحابها فيها عن تجارب ذاتية وقدرات خاصة .

غير أن استقلال الصحافة عن الأدب لم يكن أمراً يسيراً ، بل كان أشبه بعملية ولادة عسرة خاصة وأن الأدباء لم يكونوا على استعداد لانهاء دورهم الريادي ببساطة ، لذلك فقد كانت هناك فترة انتقالية مرت بها الصحافة امتزج فيها الأدب بالصحافة والصحافة بالأدب وهي تلك الفترة التي عبر عنها كثير من الأدباء الذين عملوا في الصحافة لفترة طويلة .

فها هو ذا فريزر بوند يكتب في أحد مؤلفاته[٨] : « ليس هناك حد فاصل بين ما نسميه أدباً وما نسميه صحافة ، ولذلك يجد القارئ العادي نفسه مرتبكاً في التمييز بينهما . فهو يجد إنتاج كبار الكتاب المعاصرين في جرائده ومجلاته ويدعوه صحافة ، وبعد مضي أشهر يجد المادة نفسها مغلفة بين دفتي كتاب ويدعوها أدباً . وتقف التعاريف عاجزة دون تقديم العون الكافي له . فإن الأدب كما يقول (جورج سانتيانا) هو عملية تحويل الأحداث إلى أفكار »[٩] .

ويدلل المؤلف على حجته بقائمة طويلة من الأدباء الذين ساهموا في الصحافة ، ومنهم

في بريطانيا ــ خلال القرنين الماضيين ــ « دانييل ديفو وجوزيف اديسون وريتشارد ستيل وجوناثان سويفت ، ويدخل فيها ــ يعني القائمة ــ تشارلز ديكنز ووليم ماكبث ثيكري ، وتتضمن رديار كبلنج وجيمس م. باري وأرنولد بينيت وجون جالسوورثي وج. ك. تشسترتون وسانت جون ارفن وه. ج. ويلز وجورج برنارد شو وربيكا وست .

« وفي الولايات المتحدة قائمة موازية تبدأ بداية طيبة بألكسندر هاملتون وتدخل فيها أسماء وليام كالن بريانت وهارييت بيتشر ستو ومارك توين ويوجين فيلد ، وكتّاب معاصرون مثل ارنست همنجواي وجون شتيانبك »[١٠] .

وقد كان الأمر في صحافتنا العربية مشابهاً لهذا الموقف الذي اتخذه (بوند) في الصحافتين البريطانية والأمريكية ، ولكن الأمر لم يخل من أدباء عرفوا أن هناك فرقاً واضحاً بين الصحافة والأدب ، ومن أنصار (بوند) أنطون الجميل (رئيس تحرير الأهرام في الأربعينات) فقد قال في معرض حديثه عن العلاقة بين الصحافة والأدب :

« نعم ينبغي أن يكون الصحافي أديباً »[١١] ، ثم استطرد بعد مقدمة طويلة : « وأشرت إلى تلك العصبة المباركة من أعلام حملة الأقلام في القطرين الشقيقين ــ يعني مصر والشام ــ كالشدياق والبستاني وسمير نديم وعبد الكريم سلمان والمويلحي ومحمد عبده وأديب إسحق وتقلا والحداد وعلي يوسف ومصطفى كامل وولي الدين يكن وغيرهم من الذين كانوا في آن واحد من أعلام الأدب المعدودين وفرسان الصحافة المعلمين . كانوا من مؤسسي الصحافة العربية وكانوا أركان النهضة الأدبية في النصف الثاني من القرن الغابر والربيع الأول من القرن الحالي . ومن يكتب تاريخ الصحافة عندنا يكتب تاريخ الأدب في تلك الحقبة من الزمن . وإذا نظرنا إلى رؤساء الكتاب في صحفنا اليوم (عام ١٩٤٨ م) وإلى كبار معاونيهم تجد الصحافي متلبساً بالأديب »[١٢] .

أما أحمد حافظ عوض (مؤسس جريدة كوكب الشرق) فعنده أن الصحافة قسمان : قسم مالي ، وقسم يعتمد على العقيدة والمبدأ ، ومن هنا كان الصحفيون قسمين : قسم مالي أي تاجر ، وقسم مبدئي أي صاحب رسالة « أما المالي فليس بلازم أن يكون أديباً بل يكفي أن يكون على دراية بما حوله من الشؤون العامة وإن كان له رأي في توجيه

جريدته مثل اللورد بيفربروك في انجلترا وكوتيه صاحب الفيجارو الذي يملك معامل العطور المشهورة .

« أما الصحفي ذو العقيدة فيجب أن يكون أديباً مثقفاً ، أعني مثقفاً ثقافة واسعة متتبعاً للحركة الأدبية والفكرية والعلمية خبيراً بالشؤون العامة . ولذلك أقول إن الأدب لا ينفك عن الصحافة وهو أحد عناصرها وإن الصحفي أديب أو يجب أن يكون أديباً متى كان من القسم الثاني الذي يحمل القلم »[١٣] .

بيد أن هناك من الأدباء من أدرك حقيقة أنه يجب أن يكون هناك فرق بين الصحافة والأدب وبالتالي بين الصحافي والأديب ، ومن أقوالهم التي عدت ارهاصات ببدايات عهد استقلال الصحافة عن الأدب ما قاله عبد القادر حمزة (مؤسس جريدة البلاغ) :

« إن المتعارف عليه هو أن الأدب عنصر من عناصر الصحافة . ولكن الصحافة ليست بالأدب . بل هي فن أعم وأوسع فالأديب قد يكون كاتباً مبرزاً وبحاثة لا يشق له غبار ولكن لن يكفيه ذلك لكي يكون صحافياً ، وإنما يكون بأن يجمع إلى الأدب علوماً وفنوناً أخرى ، ثم بأن تكون له خبرة كافية بالناس وبالأشياء وبالحوادث وبأذواق الهيئات المختلفة ، ثم بأن يرزق مع هذا كله الملكة الصحافية التي يستطيع بها أن يلفت نظر الجمهور إلى ما يريد أن يبرزه أمامه .

إن كان معنى الأدب أنه التبريز في اللغة وفي الكتابة وفي معرفة الشعر فهو حينئذ أدب ضار غير منتج ، أما إذا كان معنى الأدب أنه التثقيف الكامل علماً ولغة وكتابة وخبرة بالناس والأشياء والأذواق ثم قدرة على الإنتاج فهذا هو الأدب الواسع المنتج . وهذا الأدب الواسع يكون الفارق بين الأديب والصحافي . إن الأول يبحث ويكتب غير مقيد بوقت ، أما الثاني فإنه يكتب ويخرج فيه كتابه مقيداً بالوقت الذي تظهر فيه صحيفته »[١٤] .

لقد أدرك الكاتب الفارق بين الأديب والصحفي وعلم أن الصحافة مهنة مهمتها إعلام الجمهور بالمجريات والحوادث اليومية ــ أو الأسبوعية ــ وعلى هذا فإن تناولها لأنباء الأدب ورسالته يكون مساوياً لتناولها غيره من أنباء العلوم والأقتصاد والسياسة والرياضة والفن

وما إليها ، ومن هنا كانت دائـرة الصـحافة أعـم وأشـمل مـن دائـرة الأدب ، وكان الأدب جزءاً من الصحافة ، جزءاً صغيراً ، اللهـم إلا إذا تخصصـت الصـحيفة لـلأدب دون سواه .

وقد تحولت الصحافة من المقال (الرأي) الـذي اسـتخدم فيـه الأسـلوب الأدبي إلى صحافة الخبر الذي استخدم أسلوباً ذا إيقاع سريع مختصر عرف بالأسلوب (التلغرافي) ، وأصبح الخبر هو واجب الصحافة الأول ، حتى لقد حددت الجمعيـة الأمـريكية لـرؤساء تحرير الصحف وظيفة الصحافة الأولى « أن تنقل إلى الجنس البشري مـا يفعلـه أعضـاؤه ويشعرون به ويفكرون فيه »[١٥] .

وقد كانت الصحافة تقوم بهذه المهمة فعلاً ولكن بأسلوب أدبي ، حتى كتب مندوب وكالة (الاسوشيتد برس) الأمريكية خبره الشهير على صـندوق سـجائره بعـد أن فـرض حصار حول الحاضرين في حفل مسرحي صرع فيه أحـد الممثلـين الـرئيس الأمـريكي (ابراهام لنكولن) وكان الخبر المختصر المفيد : (أطلق الرصاص على الرئيس هذا المسـاء وهو في المسرح ومن المحتمل أن تكون الإصابة قاتلة) ، وفي هذه الكلمات المعدودة ــ التي فرضتها الظروف ــ أجاب الصحفي على أهم التساؤلات التي عرفت فيما بعد بـالشقيقات الخمس والسؤال غير الشقيق أو (5 W's and H)[١٦] ، وكان ذلك عام ١٨٦٥ م .

بيد أن هذا الأسلوب المباشر لم ينتقل إلى الصحافة العـربية بسرعـة ، فقـد ظلـت الصحافة العربية بأسلوبها التقليدي قرابة نصف قرن منذ ذلك التاريخ (١٨٦٥ م) وحتى قيام الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ م ، ولتوضيح هذا الأسلوب نسوق المثال التالي :

نشرت صحيفة الأهرام المصرية في عددها الأول تحت عنوان (حوادث مختلفـة) على الصفحة الأولى ما يلي :

(لقد تشرف بالمثول أمام حضرة المرشـال مـكماهون رئيس الجمهـورية الفـرنساوية الجنرال شالديني دوكه ده جانتا وقدم إلى حضرته كتـاباً مـن جـلالة ملك إيـطاليا يعلن تسميته سفيراً لدى الحكومة الفرنساوية وعند تقديمه الكتاب قال إنني بـاحترام أقـدمه إلى عظمتكم حيث يقلدني بموجبه جلالة ملك إيطاليا مأمورية السفارة لديكم أما الأوامر التي

قيدني بها فهي بذل الجهد بدوام المحبة والاتفاق بين المملكتين وإنني سعيد لحصولي على هذه المأمورية لدى مهابتكم فأجابه حضرة المرشال بما ملخصه أن محبتي لدولة إيطاليا أكيدة واتفاق المملكتين عائد لخيرهما)[١٧] .

ويتضح من هذا المثال أن المقصود بلغة الصحافة الحديثة (أن ملك فرنسا تسلم أوراق اعتماد السفير الإيطالي الجديد في باريس) ولكن شتان بين الصياغتين .

ومهما يكن من أمر فقد أضافت (لغة الصحافة) إلى اللغة الأصلية كلمات وتعبيرات لا تحصى فأثرت اللغة وحركتها من جمودها وطورتها بشكل جذري ، ولتأكيد هذا القول نضرب مثلاً بما قام به أحد العلماء الفرنسيين ويدعى (همنون)[١٨] في كتابه (المعجم الإحصائي للاستعمالات اللغوية) الذي « أحصى فيه الألفاظ الدائرة في أربعمائة ألف نص من نصوص الأدب (روايات ، مسرحيات ، أشعار تغطي القرن الثامن عشر وأواخر التاسع عشر وأوائل العشرين) فظهر أنها جميعاً تدور على تسعة آلاف لفظة »[١٩] .

وحينما « اختار اللغوي (فان دربيكه) مجموعة من النصوص أكثر ترابطاً وانسجاماً (كلها من النثر الأدبي **والصحفي** والعلمي من أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين) وأجرى التجربة على مليون ومائة وسبعة وأربعين ألفاً وسبعمائة وثمانية وأربعين (مناسبة) في النصوص المذكورة ، فكانت النتيجة أن الألفاظ المستعملة فيها جميعاً هي تسعة عشر ألفاً »[٢٠] .

ويعني ذلك أن الرقم زاد بنسبة عشرة آلاف لفظة عن إحصاء (همنون) وذلك ــ في رأينا ــ راجع إلى زيادة عدد النصوص المختارة واحتوائها على نصوص صحفية وعلمية زادت بلا شك من الألفاظ المستخدمة في اللغة إلى ما يزيد على الضعف .

وبذلك أصبح للصحافة لغة خاصة أو أسلوب خاص داخل إطار اللغة ذاتها وقد وصف (دانييل ديفو) هذا الأسلوب في قوله : « إذا سألني سائل عن الأسلوب الذي أكتبه قلت إنه الذي إذا تحدثت به إلى خمسة آلاف شخص ممن يختلفون اختلافاً عظيماً في قواهم العقلية ــ عدا البله والمجانين ــ فإنهم جميعاً يفهمون ما أقول »[٢١] هذا مع ملاحظة أن رقم الخمسة آلاف كان هو الحد الأقصى لتوزيع الصحف في القرن الثامن عشر في

انجلترا وهو العصر الذي عاش فيه (ديفو) وأنتج فيه إنتاجاً متنوع الفنون حتى أطلق عليه (أبو الصحافة الانجليزية).

وفي هذا المعنى يكتب عبد الله النديم في العدد الأول من صحيفة (التنكيت والتبكيت) قائلاً: «إنني لا أريد من هذه الصحيفة أن تكون منمقة بمجازات واستعارات ولا مزخرفة بتورية واستخدام ولا مفتخرة بفخامة لفظ وبلاغة عبارة ولا معربة عن غزارة علم وتوقد ذكاء، ولكن أحاديث تعودناها ولغة ألفنا المسامرة بها لا تلجيء إلى قاموس الفيروزابادي ولا تلزم مراجعة التاريخ ولا نظر الجغرافيا ولا تضطر لترجمان يعبر عن موضوعها ولا شيخ يفسر معانيها وإنما هي في مجلسك كصاحب يكلمك بما تعلم وفي بيتك كخادم يطلب منك ما تقدر عليه و(نديم) يسامرك بما تحب وتهوى»[٢٢].

وبذلك عبر (النديم) بالعربية عما عبر عنه (ديفو) بالانجليزية، وأصبح أسلوب النديم في صحيفته ذلك الأسلوب الذي يقرأه الخاصة والعامة من المصريين، وأضحت صحيفته يقرأها المثقفون وذوو المكانة في أنديتهم ودواوينهم و«تقرأ للعامة في مقاهيهم ومجتمعاتهم وحقولهم»[٢٣].

وهكذا برزت لغة تبعد بعداً ظاهراً عن لغة الأدب، فقد استحدث الصحفيون ألفاظاً وتراكيب جديدة لم تخطر للأدباء الأولين على بال، حتى أننا إذا تخيلنا عودة سيبويه ــ مثلاً ــ إلى الحياة، وجدناه مشدوهاً أمام تلك التعبيرات الجديدة التي اصطنعها الصحفيون كقولهم: (نريد أن نضع النقاط فوق الحروف) بدلا من القول (أنه لا بد من توضيح المسألة توضحياً لا يدع مجالا للشك) أو تعبير مثل (طار مندوبنا إلى ... لتغطية مؤتمر القمة المقرر عقده هناك اعتباراً من ...).

ولعل سيبويه يصاب بدهشة أشد أمام تلك الصفات والنعوت الجديدة التي لا وجود لها في بطون الكتب القديمة مثل: الحقيقة الصارخة والأكذوبة البيضاء والليلة الحمراء والدعاية السوداء والغيرة الصفراء.

وكذلك تلك الجمل التي دخلت إلى لغتنا عن طريق البرقيات المترجمة من أمثال (يشكل خطراً على) و(ضربت هزة أرضية) و(قفزت طائفة كبيرة من علامات

الاستفهام أمامي) و (كان علي أن أضع أعصابي في ثلاجة بعد سماعي هذا النبأ) . . . وغير ذلك من مئات النماذج والأمثلة التي تدل على ما أضافته الصحافة إلى اللغة ، وما قد تكون قد أساءت ــ في بعض الأحيان ــ به إلى هذه اللغة ، وعملية الإنماء اللغوي هذه تتطلب « العمل الدائب على فرض رقابة ساهرة على ذلك تؤمن للغة باستمرار ما يقيها من الجمود والتخلف ، أو من المسخ والتحريف ، وتجعلها دائماً على مستوى الرقي الفكري في كل جيل من الأجيال »[٢٤] ، وهذه مهمة الصحفيين واللغويين جميعاً .

ولم تكن الألفاظ والتعبيرات التي ترجمت عن اللغات الأجنبية هي كل ما ساهمت به الصحافة في عملية الإنماء اللغوي المستمرة ، ولكن الكلمات (المولدة) التي ابتكرها الأدباء والصحفيون وشاعت بعد ذلك بين الخاصة والعامة كانت هي الأخرى مما ساهمت به الصحافة مساهمة جادة في هذه العملية .

ومن تلك المبتكرات كثير من الكلمات التي نستخدمها في لغتنا اليوم مثل[٢٥] : الجريدة ، المؤتمر ، الحافلة ، المنطاد ، المطعم ، السلك البرقي (أي التلغراف) وهي من مبتكرات أحمد فارس الشدياق صاحب (الجوائب) ، ومثل : الجواز (وثيقة السفر) ، الردهة ، القفاز ، النوط ، وهي من مبتكرات الشيخ خليل اليازجي . ومثل : الصحافة ، وهي للشيخ نجيب حداد ، ومثل : المجلة ، البيئة ، الحساء ، الدراجة ، الحاكي (الفونوغراف) ، اللولب (السوستة) الشعار (العلامة) المقصف ، الشحنة ، الجالية ، الطلاء ، المداد ، المأساة ، وهي من مبتكرات الشيخ إبراهيم اليازجي[٢٦] .

وهكذا تخلصت لغة الصحافة من التكلف بعد أن تخلصت من لغة الأدب وأضحت لغتها هي اللغة السريعة المباشرة العملية الواقعية التي تذكر كلمة قط أو جمل ــ مثلاً ــ دون الدخول في التسميات الدقيقة التي قد يهتم بها عشاق القطط أو خبراء الجمال .

وإذا كان الأدب فناً ذاتياً يتصل بالنفس البشرية ، فإن الصحافة فن اجتماعي يتصل بحياة المجتمع لأنها « مرآة تنعكس عليها مشاعر الجماعة وآراؤها وخواطرها ، ومن هنا جاء تعريف أوتوجروت لها بأنها تجسيد لروح الأمة »[٢٧] .

وبينما يكتب الأديب لطائفة من الناس تعشق فنه في الوقت الذي يشاء بهدف التأثير

تأثيراً جمالياً ، يكتب الصحفي لكل الناس وفي كل وقت سواء راقه هذا الوقت أم لم يرقه .

وفي الجملة فإن لغة الصحافة الحديثة تقترب من لغة المحادثة المثقفة أو الحديث الواقعي الذي لا يهبط إلى العامية ، وهي بهذا لغة عملية Practical تعبر عن الحياة والحركة والانجاز والحدث لأنها تهدف إلى الاتصال بالناس ونقل الأفكار إليهم ، وهي بهذا أيضاً (وسيلة) وظيفية Functional لا تقصد لذاتها .

وهدف لغة الصحافة هو التغلب على عقبات الفهم ويسر القراءة ، على أنه يجب أن تكون كل كلمة أو جملة تكتب مفهومة من عامة القراء ، وذلك على الرغم من أن الصحفي تحكمه قيود كثيرة لعل أهمها : دورية الصحيفة أو المجلة وحدودها الزمنية ، وحيزها المحدد سلفاً ، فضلاً عن الاهتمامات الإنسانية المختلفة لجمهوره التي ينبغي أن يلتزم بها تماماً .

وقد يكون خير ما نختتم به هذه الدراسة هو ما قاله (كامبل) L.R. Campell عن العمل الصحفي ومجاله حينما قال :

« إن الصحفيين يشبهون العلماء الذين يعملون في معمل ، ولكن معملهم هو العالم كله ، وتجربتهم هي الحياة ذاتها » .

التعليقـات

١ ــ ابن جني (أبو الفتح عثمان) : **الخصائص** ، مطبعة الهلال ، القاهرة ، ١٩١٣م .

٢ ــ تمام حسان : **اللغة العربية ــ معناها ومبناها** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣ ، ص ٣١٤ .

٣ ــ تمام حسان : المرجع السابق ، ص ٣١٤ .

٤ ــ تمام حسان : المرجع السابق ، ص ٣١٥ .

٥ ــ سورة يونس : ٣٨ .

٦ ــ سورة هود : ١٣ .

٧ ــ سورة الاسراء : ٨٨ .

٨ ــ وهو مدخل إلى الصحافة الذي يعد من أهم مؤلفات (بوند) ، وقد ترجم إلى ست لغات قبل أن يترجم إلى العربية .

٩ ــ بوند (ف . فريزر) : **مدخل إلى الصحافة** ، ترجمة راجي صهيون ، ص ٢٩ .

١٠ ــ بوند : المرجع السابق ، ص ٣٠ .

١١ ــ عبد الله حسين : **الصحافة والصحف** ، مطبوعات لجنة البيان العربي ، الطبعة الأولى ، ١٩٤٨م ، وذلك نقلاً عن استفتاء قامت به مجلة الهلال عام ١٩٤٨م .

١٢ ــ عبد الله حسين : المرجع السابق ، ص ٥٥ ، ٥٦ ــ نقلاً عن مجلة الهلال .

١٣ ــ عبد الله حسين : المرجع السابق ، ص ٥٨ ــ نقلاً عن مجلة الهلال .

١٤ ــ عبد الله حسين : المرجع السابق ، ص ٥٣ ، ٥٤ ــ نقلاً عن مجلة الهلال .

١٥ ــ بوند : **مدخل إلى الصحافة** ، ص ١٩ .

١٦ ــ وتعني (5 W's and H) الأسئلة التي تبدأ بحرف (W) وهي : What, where, when, why, who والسؤال السادس (How) .

١٧ ــ **صحيفة الأهرام** ، العدد الأول الصادر يوم السبت ٥ أغسطس ١٨٧٦م في الاسكندرية .

١٨ ــ لم نعثر على إحصاء مشابه في العربية لتطبيق الدراسة عليه .

١٩ ــ حسن ظاظا : **كلام العرب من قضايا اللغة العربية** ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧١م ص ١٢٠ .

٢٠ ــ حسن ظاظا : المرجع السابق ، ص ١٢٠ ــ ١٢١ .

٢١ ــ إبراهيم إمام : **دراسات في الفن الصحفي** ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٢م ص ١٩٧ .

٢٢ ــ **صحيفة (التنكيت والتبكيت)** : العدد الأول الصادر في ٦ يونية ١٨٨١م ، والمقال لصاحب الصحيفة عبد الله النديم .

٢٣ ــ علي الحديدي : **عبد الله النديم خطيب الوطنية** ، سلسلة أعلام العرب (العدد ٩) القاهرة ، ١٩٦٢م ، ص ١١٠ ــ ١١١ .

٢٤ ــ حسن ظاظا : **كلام العرب** ، ص ٧٨ .

٢٥ ــ حسن ظاظا : المرجع السابق ، ص ٨٣ .

٢٦ ــ مبتكرات الشيخ إبراهيم اليازجي من (المولد) كانت في القرن الحالي بينما مبتكرات من سبقوه في الدراسة كانت في القرن التاسع عشر .

٢٧ ــ إبراهيم إمام : **دراسات في الفن الصحفي** ، ص ١٩٥ .

Language of Journalism

Adel Amin El-Serafy, Ph.D.,
Assistant Professor, Mass Communications Dept. College of Arts, University of Riyadh, Riyadh, Saudi Arabia.

Language is a human being which develop continuously. The researchers proved that mass communiation media, especially jouranlism plays an important role to develop the language which people need to write and speak. Journalism added across about two centuries to the Arabic language new words, phrases, sentences and expressions which enters in language from translating telegrames (foreigner telegrams).

Jouranl language is a practical to reach everyone. It differs from literary language and specialized scientific language.